الخطب المنبرية

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

حفظه الله

خطبة الجمعة بعنوان

الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

بتاريخ ١٠ من صفر ١٤٤٣هـ - الموافق ١٧ / ٩ /٢٠٢١ م

خطبة الجمعة

بتاريخ ١٠ من صفر ١٤٤٣هـ - الموافق ١٧ / ٩ / ٢٠٢١ م

الإِيمَانُ بِالْقَدَرِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

أما بعد: فيا عباد الله:

من أصول الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره هذا ما يجب علىٰ المؤمن أن يعتقده حتىٰ يتم إيمانه فإن الإخلال بمباني الإيمان نقض له والنقص في مباني الإيمان نقص له يجب علىٰ المؤمن أن يعلم أن الله جل في علاه صانع خبير حكيمٌ عليم علم كل شيء قبل صنعته وكتب ذلك في كتاب عنده وشاء ذلك وأوجده ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، ويقول جل في علاه: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلىٰ:١-٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر:٤٩]، ويقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢١﴾ [الحجر: ٢١] ويقول: ﴿فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] وقد بين النبي ﷺ أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان الستة لما سأله جبريل ما الإيمان قال: «أن تؤمن بالله خالقًا وربًا ومعبودا، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، قال وتؤمن بالقدر خيره وشره» [رواه مسلم من حديث عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والبخاري من حديث ابي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ]، وقد قال ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما بلغه عن أناس من أهل الإسلام قد اخلوا في هذا الركن وتكلموا فيه بغير العلم والبرهان قال: (فإذا لقيت أولئك

فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه، ما قبل الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر)، بل جاء مشركو قريش إلىٰ النبي ﷺ يخاصمون في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر:٤٨-٤٩].

أيها المؤمنون:

الإيمان بالقضاء والقدر له مراتب هو مبنيٌ عليها.

الأولىٰ: أن تعلم أن الله عليم محيط بكل شيء، يعلم ما كان، وما هو كائنٌ وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤] .

وقال للكفار وهم في النار يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧]

يقول لهم ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٨]

ثم قال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]

من أين قال: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ ؟ من علمه جل في علاه فإن علمه محيط بكل شيء

وكذلك يجب علىٰ المسلم أن يؤمن أن الله كتب كل شيء في كتاب مهندس الصناعة البيت يخطط كل صغيرة وكبيرة حتىٰ تخرج الصنعة دقيقة فكيف بالعليم الخبير جل في علاه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل:٧٥].

والأمر الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة، فلا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

والمرتبة الرابعة: أن الله تعالىٰ هو خالق كل شيء، يقول سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر:٦٢].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الإنسان: ٣٠]

ويقول سبحانه منبهاً أن لا نتحسر علىٰ كفر الكافرين وشرك المشركين فيقول سبحانه: ﴿إِن نَّشَأۡ﴾ لو أردنا أن نجبرهم ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ٤﴾ [الشعراء: ٤]

الله قادر أن يجعلهم كلهم قصراً وقهراً وجبراً مؤمنين لكنه سبحانه ترك لهم الاختيار لأن الابتلاء يتم بذلك.

عباد الله:

إن المؤمن بالقدر قوي الإيمان قوي البأس والشكيمة متوكل علىٰ الله يأخذ بالأسباب وقلبه معلق بخالق الأسباب يشرب يعلم أن الله هو الذي يرويه يأكل ويعلم أن الله هو الذي يشبعه ولو شاء أن لا تشبع من الطعام ما شبعت ألا ترىٰ أن فلانً يأكل اللقمة واللقمتين فيشبع وفلانٌ يأكل ويأكل ولا يشبع ألا ترىٰ أن فلانً يعيش كذا وفلانً يعيش كذا إن المسلم إذا علم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فإن ذلك كله مبنيٌ علىٰ حكمة الحكيم وعدل العليم ورحمة الرحمن الرحيم فلا يتضجر ولا يتحسر، ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أمر عام ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ أمر خاص ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ مكتوب ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ [الحديد:٢٢] قبل أن نخلقها وهو مكتوب يومه تاريخه كل شيء الناس يكتبون تاريخ ميلادك هو مكتوب عند الرب جَلَّوَعَلَا يكتبون إذا مت تاريخ وفاتك مكتوب عند الله جَلَّوَعَلَا كل ذلك في كتاب إلا في كتاب ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾

[الحديد:٢٢-٢٣]، وقد قال النبي ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» [رواه مسلم من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

أيها المسلمون:

إن الله تعالىٰ حين قضىٰ كل شيء وقدره فقد أعطىٰ لك أيها العبد اختيارً، ومكنك من سلوك طريق الخير فلم يكلف الجماد أن يمشي لأنه لم يعطه رجلً وكلفك أن تمشي لأنه أعطاك رجلاً لم يكلف الجماد أن يفكر وكلفك أن تفكر لأنه أعطاك عقلاً فلا مكان في الإسلام بقول من يقول إن الإنسان مجبر علىٰ أفعاله فاحذروا الجبرية وفكرهم وضلالتهم، بل إن الإنسان عنده اختيار في أمر الشرع أي نعم أنا وأنت والكل مجبرون في أمورٍ ليس فيها ثوابٌ ولا عقاب لونك شكلك طولك عرضك سنك حياتك لسنا مؤاخذين وليس فيها ثوابٌ ولا عقاب لماذا؟ لا اختيار لنا فيه، أين الثواب والعقاب فيما لك فيه اختيار صلي صم تصدق وأنفق اعدل واصدق فيه اختيار اعطاك اللسان لتصدق ولتكذب اعطاك العين لتغض البصر أو تفتحه ولو شاء أن يعميك لأعماك فما رأيت شيئًا لكنه لا يجبرك جل في علاه : ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان:٣]، فيجب علىٰ المسلم أن يعلم أن له اختياراً وإن كان اختياره لا يخرج عن مشيئة الرب العظيمة الكبيرة فاختيارك خاص واختياره عام ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان:٣٠]، والقاعدة العقلية الأصولية المضطردة لا تعارض بين عامٍ وخاص فأنت انسانٌ وبنو آدم بشر هذا عام وانت خاص ولا يعني هذا أن هناك تعارض بين الأمر والشرع كما فهمه ابليس واتباعه : ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ يعني ايش تريدون أن الله يجبركم ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ۝١٤٨﴾ [الأنعام:١٤٨].

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله؛ فمن اتقىٰ الله وقاه، ونصره وكفاه.

عباد الله:

مما يخالف الإيمان بالقضاء والقدر: ترك الأسباب وترك العمل بحجة أن الأمر قد كتبه الله وشاءه في الأزل، يقول النبي ﷺ: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له» [رواه البخاري ومسلم من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]،وربك جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

ويقول: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] فلا ينبغي ترك الاسباب ولهذا الذي يترك الاسباب في الامور الشرعية انظر اليه في الامور الدنيوية يقول الرزق مكتوب ومن صباح الخير يذهب إلىٰ الدوام ليش تذهب الىٰ الدوام ما دام الرزق مكتوب؟ قال لا الله أمرني بالسعي طيب الله امرك أنك كما انه الرزاق وهو الهادي يقول له صلي قال الله لو هداني صليت طيب يا كذاب لو الله اراد أن يرزقك، يرزقك ليش تروح الدوام تبذل السبب هناك ولا تبذل السبب هنا؟ لهوىً في النفس لهوىً في النفس ابليس قد سيطر عليه وإلا فنعلم أن الرزاق هو ونسعىٰ في الرزق والهادي هو الله ونسعىٰ ونجتهد في الشرع حتىٰ نحصل درجات العبودية ومن الأقوال التي تخالف الإيمان بالقدر قول بعض الناس ما شاء الله وشاء فلان لا تجعل مشيئة فلان مع مشيئة الله قل ما شاء الله وحده أو ما شاء الله ثم شاء فلان.

ومن الأمور المخالفة للإيمان بالقدر قول بعض الناس متحسراً متضجراً لو فعلت كذا لكان كذا وكذا لو فعلت كذا لكان كذا وكذا

يقول ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص علىٰ ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان» [رواه مسلم].

واحرصوا – رحمكم الله – علىٰ الأخذ بالنصائح والتوصيات الصحية، والتزام الإجراءات الاحترازية.

اللهم انا نسألك أن تدفع عنا الوباء والبلاء اللهم ادفع عنا الوباء والبلاء اللهم ادفع عن العباد البلاء والوباء ولا تؤاخذنا بذنوبنا ولا بما فعل السفهاء منا ورحمتك اوسع لنا يا رب العالمين طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات؛ الأحياء منهم والأموات، اللهم اجعل هذا البلد امنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم وفق ولي أمرنا لما تحب وترضىٰ، وخذ بناصيته للبر والتقوىٰ، وصل اللهم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.